

لا نستبعد أن تظهر وظيفتان أخريان فيما قد يكتشف من مخطوطات الشيخ ، أو يغيبان كغيرهما من العناصر . فتحن اذا تأملنا بنية الكون . كما تتجلى في مختلف كتاباته لوجدناها تضم أربعة عوالم هي : عالم الخيال المطلق ، وعالم الأمر ، وعالم الخلق ، وعالم الشهادة . وسنلاحظ أن كل عناصر هذا التركيب تظهر في المعراج والوظائف التفصيلية المهيكلة له ، فيما عدا الألوهة التي تقف على قمة عالم الخيال المطلق ، ومن الطبيعي ألا يقترب منها السالك ، بالإضافة الى حقيقة الحقائق ، وهي من عالم الخيال المطلق بين العماء والحقيقة المحمدية ، وكذلك الجوهر الهبائي الذي يقع بين الطبيعة والجسم الكل . ليس من المستبعد إذن أن تظهر وظيفة الوصول الى حقيقة الحقائق ووظيفة الوصول الى الجوهر الهبائي في غير ما وقع بين أيدينا من نصوص معراجية .

وبدراسة وظائف كل نص على حدة تبين لنا أنه لا يوجد نص معراجي مكتمل يجمع بين كل الوظائف . ويتفرد معراج كيمياء السعادة بأنه أكثر المعارج ثراء بالوظائف حيث يشملها مجتمعة ، ولا يغفل منها سوى الوظائف (٢ ، ٨ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣) ، أي أنه يضم ثلاثين وظيفة من الوظائف الخمس والثلاثين ، ولكنه أيضا - وربما كان هذا أحد الأسباب - أقلها فنية . وهذا متوقع لأنه نص يجمع بين السرد والتنظير للمعراج ، إذ يقدم تصورا لكل المنازل التي يمكن أن يمر عليها صاحب النظر ، بالإضافة الى ما يحرم منه بينما يتمتع به التابع المحمدي .

أما « الاسرا الى المقام الأسرى » فيشمل الوظائف (١ - ١٦ ، ٢١ ، ٢٧ - ٣٣) أي أنه يضم أربعاً وعشرين وظيفة من الوظائف الخمس والثلاثين ، مع ملاحظة أنه يقع في كتاب منفصل مكتمل ، بينما يقع كيمياء السعادة في عدة صفحات فقط من كتاب الفتوحات ، وهذا ما يجعل الاختلاف بين ايقاع كليهما مؤكداً .

أما معراج الفتوحات فيشمل مجموعة محدودة من الوظائف هي (١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ - ١٦ ، ٣٣) ، أي أنه يضم خمس عشرة وظيفة من الوظائف الخمس والثلاثين . ويأتي معراج التنزلات الموصلية أقلها عدداً ، حيث يشمل ثلاث عشرة وظيفة من الوظائف الخمس والثلاثين هي (١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ - ١٥) .

وقد لوحظ أن الوصول الى السموات السبع يأتي منتظماً تبعاً لترتيبها في بناء العالم عند ابن عربي ترتيباً تصاعدياً ، بدءاً بالسماء الأولى وانتهاء بالسماء السابعة ، وذلك في كل النصوص عدا معراج